

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

جَدَلُ الإِشْرَاقِ وَالظَّلَامِيَّةِ فِي فَضَاءِ الْعَوْلَمَةِ وَالثَّقَافَةِ السِّيَاسِيَّةِ

The dialectic of illumination and obscurantism in the space of globalization and political culture

شهرزاد حمدي Chahrazad hamdi

باحثة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، مخبر تطوير
الخطاب الفلسفي والتنمية الثقافية والاجتماعية في الجزائر
ch.hamdi@univ-setif2.dz

تاريخ القبول : 06 – 04 - 2024

تاريخ الاستلام: 26-08-2023

الملخص

يُركّز موضوع ورقتنا البحثية على دراسة وتحليل تفاصيل جدلية الإشراق والظلامية المنبثقة في سياق علاقة العولمة والثقافة السياسية، بين أن تتنوع الثقافات وتفتح على بعضها وتحصل مشاركات حيّة للمجتمعات في الحياة السياسية بفعل قيم العولمة وأدوات الاتصال الجديدة، وبين أن يفرض عليها نموذج من الثقافة السياسية وتراجع خصوصياتها. نهديف من خلال الخوض في غمار هذا الإشكال إلى إبراز الجدلية القائمة بين العولمة والثقافة السياسية، وتبيين تجاذبية العلاقة بينهما. ولقد توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها: قيمة الثقافة ومنه الثقافة السياسية في سياق العولمة، وتبدل العالم وعلاقاته بعد تدشين العصر العولمي وجدلية التنوير والظلام بين العولمة والثقافة السياسية.

الكلمات المفتاحية: الجدل، المفهوم، العولمة، الثقافة، الثقافة السياسية.

Abstract:

The subject of our research paper focuses on studying and analyzing the details of the dialectic of illumination and obscurantism that emerges in the context of the relationship of globalization and political culture, between the diversity of cultures and openness to each other and the obtainment of lively participation of societies in political life by virtue of the values of globalization and new tools of communication, and between the imposition of a paradigm of political culture on it and the decline of its specificities. We aim by delving into the midst of highlighting the dialectic between globalization and political culture, and showing the attractiveness of the relationship between them. We have reached a number of results, the most important of which are: the value of culture, including political culture in the context of globalization, the change of the world and its relations after the inauguration of the global era, and the dialectic of enlightenment and obscurantism between globalization and political culture.

Keywords : Dialectic _ Concept _ Globalization _ Culture _ Political culture.

مقدمة:

المحور الأول: سؤال المفهوم بين المهمة الفلسفية والضرورة المنهجية.

المحور الثاني: في علاقة الثقافة السياسية والعولمة

ولكل محور عناصر فرعية شارحة له.

المحور الأول: سؤال المفهوم بين المهمة الفلسفية والضرورة المنهجية

من الأسئلة المثارة باهتمام نوعي وانهمام قلق شغوف على الدوام بالتحديد الدلالي، نجد سؤال المفهوم، الذي ينشغل به العقل ويؤليه شطر جهوده؛ وذلك بحسبه القاعدة الجوهرية لأي علم؛ إذ يُمثل هويته وبطاقة المخصوصية لديه، ثم إن عملية الضبط المفهومي مرحلة حاسمة، بوصفها تأسيسية للعلم الذي تُنشط في خضمه، فالوعي بمفاهيم منظومة علمية مُعيّنة هو المفتاح الرئيسي لاستيعابه والتعمق فيه، بعدها مُراجعته نقديًا. ستكتشف هذه الأهمية وتزداد وتيرة الانشغال لما يقع الاشتغال الفلسفي ويتقدم المفهوم إلى المسألة والمباحثة الفلسفية، التي عودتنا على سلك مسالك وعرة ولكنها مُثمرة.

أولاً: الفلسفة والمفهوم، درب حارق ونواتج مُبدعة

تمتلك الفلسفة كأسلوب تحليلي ناقد في التفكير سجلًا حافلًا بالإنجازات في علاقتها مع المفهوم، فتاريخها تاريخ إبداع مفهومي؛ إذ لم تخلو مرحلة تاريخية ما بمركبها الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي من وجود شبكة مفاهيمية فلسفية، اهتمت إليها الفلاسفة، وقد تخصّ فيلسوف بعينه، تم الاستنجد بها، لأجل حلحلة الأزمات، تجاوز المشكلات، تحسين نوعية الحياة، والتقدم بالإنسان. هذه الحركية النشطة من العقل الفلسفي في إطار الصناعة المفهومية، دفعت التاريخ بقناعة إلى الربط للصيق والنظم الوثيق بين الفلسفة والمفهوم، لدرجة أن المنتظر دائمًا من الفيلسوف إزاء فحصه النقدي لوضعية مُعيّنة، ما يُقدّمه من مفاهيم تأصيلًا أو ترحيلًا من وإلى، والحق أن المفهوم الذي لا

نعيش اليوم على وقع حياة مُختلفة بفعل تطوّرات ملحوظة نوعية وكمية، مسّت جميع مجالاتها، وأحلت نمطًا مُغيّرًا من العيش، وعملت على خلخلة المراكز وأسست لقيم ومفاهيم جديدة. ولقد انبنى هذا الواقع المتميّز طبقًا لانبثاق ظاهرة سُرعان ما تحوّلت إلى وجود مُتعدّد الأبعاد، والحديث إنّما يخصّ ما يُعرف بالعولمة Globalization كوجه بارز للألفية الجديدة، ولو أن البعض من الدراسات والمواقف انتصرت إلى القول بوجودها منذ القدم على أساس أن فضيلة العيش البشري هي الصدمات التنافسية والحوارات الانفتاحية في جدلية حيّة. ومن أهم المجالات التي طالتها العولمة ودخلت عالمها وأثرت فيها بجُملة من التغيّرات، نجد مجال الثقافة Culture، كأخصب المجالات التي يتحرك في فلكها الإنسان إنتاجًا واستهلاكًا. ولعلّ أبلغ حجة لإثبات العلاقة القويّة بين العولمة والثقافة، أنه تمّ نحت مُصطلح العولمة الثقافية Cultural globalization، للدلالة على الوصلية الوطيدة بينهما. إنّ الرأسمال الثقافي ونظرًا لأهميته الفارقة، فإنه يُؤثر بدوره في جميع مناحي حياة المجتمع، بما فيها المجال السياسي والتنظيم المؤسّساتي، لنكون أمام مُصطلح الثقافة السياسية Political culture. وتؤثر العولمة ووسائل الاتصال والرقمنة المنوطة بها في تشكيلها من خلال خلق قيم وأفكار ورؤى تتخذها الشعوب في علاقتها مع النظام السياسي. ما يُميّز الثقافة السياسية أنها ركزت النظر خارج المؤسّسات وتنظيمها المادي بأنها تتأثر بالعامل الثقافي داخل المجتمع بل ومن خارج الدولة، وأن الشعوب تنخرط في الحياة السياسية بواسطة عدّة ثقافية قيّمة. يتضح إذن من خلال الأفكار المقدّمة تأثير العولمة في الثقافة السياسية، وذلك بالاستثمار في الجانب الثقافي للتفاعل مع النشاط السياسي. وفي سياق هذه العلاقة التأثيرية بين العولمة والثقافة السياسية تتأسّس جدلية الإشراق والظلامية، بين أن تُساهم في جوار الثقافات السياسية والانخراط الحيوي للشعوب في الفضاء السياسي، وبين أن تُوجّع الخلافات والصدمات وتُطلق موجة من المُمانعات. وعليه: ماهي تفاصيل هذه الجدلية في فضاء العولمة والثقافة السياسية؟ وما مصير الهويات والخصوصيات؟ وماذا عن دعاوى الانفتاحات والامتتاحتات من الغيرية؟ نهدف من خلال ورقتنا البحثية إلى إلقاء الضوء على الجدلية التنويرية والظلامية بين العولمة والثقافة السياسية، وإبراز التداخل بينهما. ولهذا فقد اعتمدنا على خطة بحث كالتالي:

بالمبادئ الأولى، ولا بالتعريف المنطقي، إنما أقام صلة يمكن توصيفها بالماهوية له مع النشاطات الأداتية والبحثية وما تتطلبه من مفاتيح تنعّيق من الربط المباشر بالحقيقة إلى التعامل مع أجوائها بما يفرضه منطق الحدث. ولا يخفى على المتنبّع لخرجات الفلسفة المعاصرة، أن الكثرة والتعددية والاختلاف والنسبي والمتغير مقوماتها، بل وأعمدها التي استندت عليها لتُعبر عن رؤى العالم المخصوصة بها، وبالتالي نحن أمام مفاهيم وليس مفهوم، والكثافة هنا نابعة من ذلك الإنزال من فضاءات المبدأ الأول والمنطقي لتتصّر بإقبال على الحدث وتُفاريه إبداعياً بالمفاهيم. ولأن درب الفلسفة مع المفهوم درب حارق ونواتج ذلك مُبدعة، فإنها وتتنوع أنماطها، شهدت وامتداداً "على مدار العصور المتلاحقة زخماً مفاهيمياً ثقیلاً بالمعاني يكشف عن طبيعة التساؤلات ومحاور القلق الفلسفي والمسارات الحاسمة التي سلكها، ويكفي أن نطلع على جملة المفاهيم في فترة زمنية مُعيّنة، لنكتشف نمطية الإشكالات المطروحة، فمثلاً ننفتح على مفاهيم: العقل، النقل، اللاهوت، العناية الإلهية، التأويل في زمن العصر الوسيط، لنقف على تجاذبات فكرية بين الفلسفة والدين⁽²⁾. هي مُناسبة حقيقية لتفنيد إتهام الفلسفة بأنها مُتعة فكرية لتمضية أوقات الفراغ أو الهروب من الواقع صوب أبراج عاجية تتوهّم فيها الحياة السعيدة، فالمعاناة التي تتكبّدها مع عملية النحت المفهومي وصناعته وفق ما تصطدم به من إشكالات وتغيّرات تَمسّ جميع نواحي الحياة، خير دليل على أن الفلسفة تفكير في الواقع بحسّ نقدي، ولهذا فإنها تطرح مجموعة مفاهيم في كلّ فترة زمنية تمرّ عليها، تحمّل من خلالها رسالة تُوضّح طبيعة الحياة آنذاك ونمطية الاهتمامات والقضايا المطروحة للمُباحثة والمدارسة، لتتولّى تنفيذ مُهمّتها وتُبدع مفاهيم تتفاعل بها مع الحدث. ويمتد الاشتغال المفهومي من كونه مُهمّة فلسفية يتقلّدها الفلاسفة إلى حسّبه ضرورة منهجية علمية؛ وذلك بما يضمّه كل علم من العلوم كما سلف المقال لمقام العلم والمفهوم، وكذلك بما تتطلبه البحوث الأكاديمية المنجزة بخاصّة في تخصّص

يُستنبت بتغذية من مصادر أخرى لا تضرّ بالجذور، لا يمكن المراهنة عليه بثقة عالية في اجتثاث الخُلول، وإصلاح العطب والهَوض بالإنسان عقلاً وجسداً وروحاً. وإن يبدو سؤال ما الفلسفة؟ بديهي مُتداول، والإجابة عنه تكاد تكون جاهزة لكتّابها هلامية لم تكن يوماً قارة، إلا أن الفيلسوف الفرنسي "جيل دولوز" Gilles deleuze (1925_1995م) رُفقة مواطنه "فليكس غواتاري" Félix guattari (1930_1992م) في كتابهما المعنّون ب: ماهي الفلسفة qu'est – ce que la philosophie؟، أباناً عن إلحاحية هذا السؤال وقيّمته الفارقة، ليخسّم "دولوز" مختلف الأجوبة، ويصهرها في بوثرة واحدة، وهي أن الفلسفة إبداع المفاهيم. لم تزل الفلسفة معرفة المبادئ الأولى، هذا التعريف المنوط بالعهد الإغريقي الأرسطي، الذي لم تتمكّن ثورات العقل العنيفة ولا انعطافات الكبري من زحزحته، حتى "إيمانويل كانط" Immanuel kant (1724_1804م) نفسه لم يتحرّر من هذا الثبات، وإن وضع اصطلاح أحدث كنقد العقل الخالص، فقد يحتوي إبداع المفاهيم تخوفاً من المبادئ الأولى لكنه لا يتعيّن بها. ولفتة: إبداع المفاهيم ضربة موجعة وخلخلة لمواصفات التعريف المنطقي، فهي لفظة تنقل الفلسفة من العالم الطوباوي (البحث عن الحقيقة) إلى عالم أدوات البحث، فالمفاهيم لم تكن مفردات للحقيقة، بقدر ما تتحوّل وتصبح أدوات أو مفاتيح تتعاطى مع مناخ الحقيقة. والقول بالمفاهيم بدل المفهوم مثال حيّ عن انقضاء عهد الأحادية والمركزية التي تركّز إلى طريقة واحدة بعينها، بوصفها السبيل لأجل الحقيقة، فالتعددية المفهومية تقتضي مداخل مُتنوعة تتقاطع وتتواصل، يُضاف إلى أن هذا القول دلالة واضحة على أن المفهوم لم يعد اصطلاحاً منطقيّاً، بل شخصية مفهومية تنزل إلى الحدث، وبالإمكان أن يصير من أبرز حادثاته⁽¹⁾. تكتسب عملية الإبداع المفهومي بالكيفية التي صاغها "دولوز"، مواصفات عملية إجرائية تتعايش والحدث لتُصبح جزءاً منه ووجهاً من وجوهه، فلقد ولى زمن التعريف الأرسطي الذي بموجبه يرتبط المفهوم

يُشار دائمًا في سياق الحديث عن مفهوم الثقافة السياسية، المسعى التأسيسي المتمثل في كتاب عالِي السياسة الأمريكيين "غابرييل ألاموند" Gabriel Almond (1911_2002م)، و"سيدني فيربا" Sidney Verba (1932_2019م) الموسوم بـ: "الثقافة المدنية: المواقف السياسية والديمقراطية في خمس أمم" The civic culture: political attitudes and democracy in five nations. عرّف فيها الثقافة السياسية، كونها مُصطلح يُشير إلى التوجّهات السياسية على وجه التحديد تُجاه النظام السياسي بأجزائه المختلفة، والمواقف إزاء دور الذات في العالم. نتحدث عن ثقافة سياسية مثلما نتحدث عن ثقافة اقتصادية أو ثقافة دينية، إنها مجموعة من التوجّهات نحو مجموعة خاصة من الأشياء والعمليات الاجتماعية، لكننا نختار أيضًا الثقافة السياسية، بدلاً من بعض المفاهيم الأخرى؛ لأنها تمكّننا من استخدام الأطر والمقاربات التصورية لعلم الأناسة وعلم الاجتماع وعلم النفس⁽⁴⁾. يُقصد بالثقافة السياسية، تلك التوجّهات السياسية إزاء النظام السياسي القائم ونمط الحكم، والمواقف تُجاه دور الذات وآرائها. ويُرادف الحديث عن الثقافة السياسية كالحديث عن الثقافة الاقتصادية مثلاً، غير أن اعتماد الثقافة السياسية له من مبررات القيمة والأهمية، فهي مفهوم مُركّب يضمّ في تركيبته عدّة تخصّصات هامة، تهتم بالدور الإنساني والاجتماعي والفردى، وهي بهذه الصيغة تُقدّم اعتباراً مشهوداً له للقيم والثقافة، بما أن العلوم السابقة الذكر (علم الأناسة، علم الاجتماع وعلم النفس) لطالما أظهرت اهتماماً خاصاً بمنظومة القيم. ويصنّف التوجّه السياسي إلى ثلاثة أصناف كما اقترح بارسونز Parsons وشيلز Shils:

_ التوجّه المعرفى Cognitive: أي المعرفة والإيمان بالنظام السياسي وأدواره ومكونات هذه الأدوار ومُدخلاته ومُخرجاته.

_ التوجّه الفعّال Effective: أو العاطفي، الذي يهتم بالمشاعر تُجاه النظام السياسي وأدواره وموظفيه وأدائه.

الفلسفة، فالبناء المفهومي عَصَب هذه البحوث، بالتحديد تلك المكلف باحثها بالاشتغال بداية ونهاية على قضية مفهوم بحدّ ذاته كأن يطرّقوا باب: مفهوم العقل، مفهوم الحرية، مفهوم العدالة، مفهوم المفهوم، وهو اشتغال على قدرٍ من الأهمية والصُعوبة بمكان. ومن المتفق عليه تقريباً أن البناء المفهومي لمفهوم ما في سياق البحث الفلسفي الأكاديمي، يتوزّع على ثلاث مراحل حاسمة، وهي: تاريخية المفهوم، الدلالة اللغوية والمنطقية والإجرائية له، وأهم الفلاسفة الذين عُنيوا به عناية خاصة وإبراز ذلك في فلسفاتهم. والنتيجة سؤال المفهوم بين المهمة الفلسفية كدرب حارق مُستفز للعقل الفلسفي، المتبوع بنواتج مُثمرة ومُبدعة، والضرورة المنهجية لقيام منظومة علمية ما، ولإنجاز بحوث أكاديمية تتركز جهودها حول نقطة المفهوم. ودعماً لفكرة إجرائية المفهوم ووليته بالحدث، ارتأينا أولاً أن نخوض غمار دُرّة مفاهيمية تتعلّق بمفاهيم البحث قبل مُناقشة إشكالاتها، بهدف القبض على دلالتها وتكوين صورة عامة حولها.

1_ مفهوم العولمة

العولمة، وهي الصورة المُعَيّنة عن الألفية الجديدة رغم أن البعض ذهب إلى وجودها منذ الأزمنة القديمة، تُعرف على أنها ليست بالحدث الجديد، بل هي همزة وصل بين الحضارات واكتشاف حضارة لأخرى، أو هي محاولة لتوطيد حضارة ما نفسها في حضارة أخرى⁽³⁾. يحمل هذا المفهوم عدّة دلالات وي طرح نقاشين بين ما نُسمّيه بالتأصيل التاريخي؛ حيث يرى أن العولمة لصيقة بالوجود بالإنساني، فهي تعبير عن الانفتاحات والتواصلات، وبين نقاش الإرادة الحقيقية للعولمة؛ إذ يُشير في البداية إلى أنها جسر ممدود بين الحضارات ثمّ يستخدم عبارات دخول أراضي حضارة أخرى وتوطيد نفسها هناك؛ بمعنى الغزو وفرض نموذجها.

2_ مفهوم الثقافة السياسية:

مزيج من العوامل الثقافية والقيم المتفكّرة في الفضاء السياسي، والثقافة جزء لا يتشظى من العولمة، وبالتالي تتجلى العلاقة بينها وبين الثقافة السياسية بوضوح، من خلال الاهتمام العولمي بالعُنصر الثقافي الذي يُشكّل ركيزة الثقافة السياسية، وأي أثر للعولمة عبر وسائل الاتصال الحديثة على منظومة القيم وحُمولات الثقافة التي لا تعرف مبدأ الجوهرانية، فإنه بطبيعة تشابكية العلاقة سيكون لها وقع على الثقافة السياسية. تتضمن العولمة الثقافية كتحوّل جذري من عالمٍ هيمنت فيه ذهنية العزلة الثقافية إلى آخر مُغاير يسوده التبادل الثقافي، عدّة أبعاد، فهي تعبير صريح عن الحالة النهائية للعولمة الاقتصادية، فهي البُعد السياسي، الثقافي، الديني والايديولوجي لظاهرة تم فحصها بالتطرق إليها في مُعظم الأحيان من منظور الاقتصاد والجغرافيا السياسية⁽⁶⁾. إنّ العولمة الثقافية بهذه الصيغة، تتحدّد كنقطة فارقة في نمط العلاقات وكيفية العيش، من عالم الجزر الثقافية المفصولة إلى عالم الجزر الثقافية الموصولة، والحفاظ على لفظ الجزر له ما يُبرزه، فالمقصود المنشود منه تبيان حدوث الانفتاح مع ضَمان حصانة الهويّات من مزلق الاستغراق والذوبان، وهي تحتوي أبعاد مُتكَثرة من سياسي وانبثاق الثقافة السياسية، وديني وإيديولوجي، فالعولمة الثقافية بداية لنهاية حالة العولمة الاقتصادية إلى عولميات أخرى، مُتداخلة ومركّبة، وجاء الإلحاح بضرورة إلقاء الضوء على ماهيتها في وقتٍ جرت فيه العادة أن يتم إرفاقها بالاقتصاد والجغرافيا السياسية، حاجِبين التطرّق إلى الأبعاد الأخرى الفاعلة. وبفعل التطوّرات الهائلة في مجال الاتصال والشبكات الحديثة السريعة التي أصبحت تتحكّم في سير العلاقات، والانتشار الواسع لاستخدامات التكنولوجيا والرقمنة، وشُروع الإنسانية في الانتماء العبروطي، نحن في خضمّ فلكلور كوكبي بلُغة الفيلسوف الفرنسي مُتفلسف التعقيد Complexity والفكر المركب "Complex thought" "إدغار موران" Edgar morin (1921م)، ونشهد توسيعًا كوكبيًا، فرض على الثقافات

التوجّه التقييبي Evaluative: الأحكام والآراء حول الأهداف السياسية التي تتضمن عادة مزيجًا من معايير القيمة ومعايير المعلومات والمشاعر⁽⁵⁾. تعكس هذه التوجّهات أهمية التوجّه السياسي وتعقيدية وظائفه وأبعاده؛ وذلك لأنّ فالثقافة السياسية تحمل عدّة ثقافية من الآراء والقيم تُفعل في نطاق التعبير عن الرأي بخصوص نظام الحكم والفعل السياسي وكل ما يرتبط بالساحة السياسية. وللثقافة السياسية علاقة من التأثير والتأثر بالعولمة ووسائل الاتصال الجديدة، التي تُساهم في تشكيلها وتحويرها، وتأسيسًا على نوعية هذه العلاقة، تتولّد جدلية بينهما.

المحور الثاني: في علاقة الثقافة السياسية والعولمة

لقد اعتدنا منذ فترة، بالتحديد تلك التي بدأت تتصدّر فيها العولمة الحديث جزاء ما تُقيمه من تغيّرات وما تصنعه من مُستجدات على جميع المستويات، أنها محلّ جدل وعدم اتفاق حول رأيٍ قارّ، بين من ينظر إليها بوصفها إشراقة على البشرية، وبين من يراها منبعًا باعثًا على الظلامية لتلك المناطق وشعوبها الذين يبعدون عن دول الشمال نظرًا وعملاً، وبعمامة الاستنتاج، فإنها تتموضع في الوسط بين كِلَا التوصيفين. ومن أبرز الرّهانات التي تُراهن عليها العولمة لنشر قيمها وبسط نفوذ منطقتها، هي الرّهانات الثقافية، إلى درجة أن تمّ نحت مُصطلح العولمة الثقافية، وهُنا تتضح العلاقة التي تجمع العولمة بالثقافة السياسية، فكيف ذلك؟

1_ الرّهان العولمي في الاستثمار الثقافي وتجليّ العلاقة مع الثقافة السياسية

تتقدّم الثقافة بخطوات ثابتة، على ثقة بمكانتها، كأكثر العناصر للصيقة بالعولمة والمرافقة لمخططاتها ومبادئها وما تطمح إليه، فالحلول العولمي مُكثّف في الحياة اليومية لإنسان القرن الحادي والعشرين، يبرز بصفة قويّة في الشقّ الثقافي، وما مُصطلح العولمة الثقافية إلّا صورة حيّة عن التداخل الحاصل، الذي ينتقل من كونه حالة عابرة إلى نمط وجودي مُتجذّر. ومثلما سبق التأكيد، فالثقافة السياسية

الإعلامية التي ستدعم ثقافة الصورة عبر أشرطة السمع البصري المعروضة على جهاز التلفزيون والأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وما يُراد من هذا المعطى أن العولمة الثقافية لا ينعزل بروزها وتطورها وانتشارها عن ثقافة الصورة واعتماد أحدث مُخرجات حقل التكنولوجيا والرقمنة، الذي وإن كان أصله غريباً خادماً لثقافته، غير أنه خلق عالماً جديداً كسر الحواجز وقرب المسافات وتضاءل بالفروقات الكثيرة. لكن حتى الصورة وتملك لغة، فاللغة ليست حصراً على الحروف بل تتعدى ذلك إلى الأشكال والصيغ، فهي ليست مفصولة عن ثقافة مُتكلمها ومُفكرها، ومنه الصورة لغة وتحمل لغة. ثم إنه ومهما حصل وانتشرت ثقافة الصورة، يبقى لثقافة الكتابة حضورها ولو كان متوارياً أو مُتراجعاً، بالإضافة إلى التبادل المشترك بينهما، فالمكتوب تُجسده الصورة، وهو بدوره يُشكّل لها مادة تعيد تشكيلها وفق أشكال وأبعاد، بالتالي لا نرى إمكانية كبيرة لإزاحة أحدهما لدرجة الإلغاء، وإن كان المعقول بحجة الواقع المعمول، تقدّم ثقافة الصورة على ثقافة المكتوب، فالترجيح بينهما موجود ولكن الغلبة النهائية والإقصاء الجذري عدم.

2_ قيم العولمة والانخراط بالمواطن في الحياة السياسية تتغيّر العولمة الوجه الجديد بأكثر ملامحة للقرن الحادي والعشرين، بجملة قيم تدفع بالمواطن إلى الانخراط في الحياة السياسية والدخول في نشاطاتها بالتعبير عن آرائه وحقوقه في تقرير المصير واختيار الشخص المناسب، باعتماد مُقوّم الثقافة الخاص به. ونؤكد مرة ثانية، بأن الثقافة ليست شيئاً ثابتاً ماهوياً، بل هي مُتغيرة من فئة إلى أخرى داخل المجتمع، بتأثير عوامل كثيرة داخلية وخارجية كالتّي تُمارسها العولمة. واتفقاً على الروح العالمية والانفتاحية، والتحرّر من الضيق النظري والعملية وإحلال عقيدة البروز بإزالة حُجب الانغلاق، وذلك بطرح الأفكار والرؤى، وتقديم وجهات النظر وخيارات الذات التي يَبْها العهد العولمي، الذي لن نجحد بنفي مآربه الغربية للتحكّم والتموّل في المركز واعتلاء منصب القيادة والتوجيه، لكن ما يخدم الفكرة الآنية أن هذا العهد تضمّن

العالمية الكبرى المنغلقة على بعضها البعض، وعلى الأوروبيون الذين اعتبروا أن الثقافة العالمية هي الآثار الأدبية الأوروبية، في مجالات الأدب والشعر والموسيقى، أن تنفتح وتتنازل عن تعاليمها. فقد أخذ المجال العالمي الحق في التشكّل خلال القرن العشرين، فتُرجمت الروايات اليابانية والأمريكية اللاتينية والإفريقية إلى اللغات الأوروبية الكبرى ونُشرت بها، وأصبحت الروايات الأوروبية تصدر في آسيا وفي الأمريكتين. وعُرفت الموسيقى الغربية في القارات الخمس، وأخذت أوروبا تنفتح على موسيقى الشرق العربي واليابان وأمريكا اللاتينية وإفريقيا وموسيقى الهند والصين⁽⁷⁾. فالعولمة أو الغربية Westernization - وإن كانت تحمل بُعداً أحادياً غربياً- أو الكونية أو الكوكبية Planetarization وهي النحت اللفظي المفضّل لدى "موران"، سَطّرت عهداً جديداً يتمثّل في العهد الكوكبي العالمي، الذي تنفتح في كنفه وتبادل وتتشارك وتتنافس وتتجاوز الثقافات مع بعضها البعض، بحيث تراجعت الثقافة الغربية المتكبّرة ومنحت لنفسها فرصة الالتقاء والانفتاح، ومع القرن العشرين وما بعده، تصاعدت حركة الترجمة لمختلف الفنون والآداب والروايات من كلّ قارة، وحصل أن تزاوجت القارات بواسطة تلاقح الثقافات ولقاءاتها الوظيفية التي تحتوي كل ثقافة على جزء من مقوّمات الثقافة الأخرى. والثقافة المعولمة المبنوثة حالياً هي ثقافة ما بعد المكتوب، ظهرت وشرعت تمتن حضورها بعد تراجع الثقافة المكتوبة أمام صُعود ثقافة الصورة، التي تمكّنت من تحطيم الحواجز اللغوية بين المجتمعات الإنسانية نتيجة لتطور الثقافة، التي ساهمت في انتشار وسائل منظومة الاتصال الحديثة خارج البلدان التي صنعتها، وتشكّلت في سياقها إمبراطوريات إعلامية، كلّفت نفسها بتصدير ثقافة الصورة بالنظام السمع البصري⁽⁸⁾. إنه عصر الصورة الذي أزاح المكتوب لصالح الأشكال والأبعاد، ودمّر حاجز اللغة المبني على المكتوب، بفضل التطوّر الثقافي الذي مكّن أدوات الاتصال من العبور خارج حدود البلدان التي أُنتجت فيها، وفي هذا الإطار صُنعت الجهات

وانتصار الليبرالية الرأسمالية، مما يجعلنا على مُحايثة من قول أن هذه القيم التي يدعو إليها، هي قيم الذهنية الغربية وحدها، كما نرى أنه وقع في شرك التناقض، بأن جاهر بالنهاية وسيادة نظام واحد، في مُقابل ذلك ينشد طلب العمل بقيم كالمشاركة والتسامح والعلمانية. وما يُدعم أكثر مُساهمة القيم العولمية في الانخراط بالمواطن في الحياة السياسية، هي حقيقة أنه لا يُمكن لثقافة جماهيرية أن تقوم في ظلّ وضعية الاستبداد، هذه الثقافة لا يُسمح أبدًا بإهمالها أو الإنقاص من قيمتها في مرحلة حقّ الاقتراع العام، ووسائل الاتصال والتواصل تعرّف تصاعدًا كبيرًا في نسبة الانتشار والاستخدام⁽¹⁰⁾. فثقافة الجماهير المهمة إلى جانب ثقافة النخبة، لا تنشأ في ظروف استبدادية قاسية، ووسط موجات من الممانعة والتصدي، بل ينبغي لها محضن ديمقراطي يضمن الحرية في التعبير، على وعي بأهيت في مرحلة الانتخاب العام قبل مرحلة الانتقال، وأن العصر يشهد بقوة انفجار في شبكة المعلومات والاتصالات والتواصلات، لتؤقّر قيم العولمة هذه المتطلّبات. لكن هل هذا يكفي؟ ما مدى صلابة هذا التوفير؟ هل يُمكن أن يكون هسًا ظاهره المتين فقط؟ كيف السبيل إلى نشر قيم العولمة نشرًا حقيقيًا واعيًا ومُستوعبًا من طرف الجماهير؟

للعولمة وجهان مُتناقضان، فالأول حَقَف من وطأة الانغلاق والانكفاء ودشّن عصر كوكبي عالمي انفتحت في إطاره الثقافات وتعارفت وتواصلت، والثاني يبرز في التضاد والمقاومة والصدام مع الاختلافات الثقافية التي لا يُمكن تجنيسها، وهُنا بالضبط تتولّد الشرارة الصراعية.

3_ الاختلاف والمُخصوصية، الرأس مال القيمي للعولمة والتضارب مع الخارطة الثقافية للأفراد

تشتغل العولمة بالمزدوج؛ بمعنى أنها تحمّل أكثر من بُعد، فهناك بُعدان؛ أمّا الأول فيتجلّى في مجموع الإيجابيات التي خلقتها للإنسانية والخدمات التي وفّرتها، والتسهيلات التي قدّمتها، تحرّرت بفضلها العديد من المجتمعات المكبّلة بحدود

قيم غيّرت من نمطية الاعتقاد والعمل، بالتحديد تلك المكونة هُناك في قوِّعات القومية ومضائق التحريم والتجريم. في ظلّ هذا الواقع العولمي الجديد، يدعونا الفيلسوف الأمريكي "فرنسيس فوكاياما" Francis Fukuyama (1952م) إلى تعلّم القيم الديمقراطية التالية: المشاركة، العقلانية، العلمانية، الحركة والتسامح، وهي قيم عملية بحتة لا علاقة لها بما بالجماعة الأخلاقية العضوية المتمسكة بلغة الخير والشر⁽⁹⁾. لقد أُرست قيم العولمة دعائم ديمقراطية تضع المواطن في قلب الحياة السياسية، عبر تعليمه المشاركة في صنع القرارات وحقّه في ذلك بل واجب عليه بموجب صفة المواطنة، والتفكير بعقلانية مُنظمة، هي عقلانية تبتغي الإنتاج والفعالية، والعلمانية التي تتجسّد في التعددية والكثرة والابتعاد عن الانتماءات الدينية الطائفية واحتقاناتها، والتعامل بمنطق مدني دنيوي برغماتي وعدم إقحام الدين في الشؤون السياسية، خاصة أحكامه القطعية التي تدور في فُلك: حلال / حرام، والحركة بأن يكون نَشِطًا وناجِعًا ومُثْمِرًا، والتسامح في قبول الآخر المختلف والتعايش معه بحرية ومسؤولية. هي قيم عولمية مُنفتحة تسمح بشكل مُباشر بفتح المجال للمواطن في مُعانقة الحياة السياسية. غير أن هذه القيم لا تنطبق على جميع الدول، فمثلاً العلمانية في العالم العربي تصطدم بحواجز تفرضها خصوصيات كثيرة، ففي نهايتها هي عبارة عن تجربة غريبة، وليس كل منقول ناجح، في حين كلّ توطين ناجح ومُتأصّل، ثم إنها تطلب استبعاد ماهو ديني عن ماهو سياسي، ونحن نعلم أننا شعوب مُتدينة والدين مُتجذّر في حياتنا، هذا من جهة، ومن جهة مُقابِلة الاستبعاد للدين ولو كان جزئي سيُخلّف تشطّيًا للشخصية العربية المسلمة، وديننا الإسلامي الحنيف أحقّ بالاعتماد في تدبير شؤون الرعية، فهو يحمّل من مظاهر المدنية والديمقراطية ما لا تحمله خطابات الاختلاف Difference والاعتراف Recognition والتعايش المشترك Commun living. بالإضافة إلى أن قصد "فوكوياما" واضح ومكشوف وهو الذي أعلن عن نهاية التاريخ

أمريكا هي شعب الله المختار. وفي هذا المناخ المأساوي وُلد مُصطلح العولمة (...) وتمّ الكشف والإعلان عن واقع صدام الحضارات، وتحديداً صدام الحضارة الغربية بقيادة أمريكا مع الحضارة الإسلامية أولاً، ثم الصينية ثانياً، لضمان استبداد أمريكا - والغرب - بمقدرات العالمين⁽¹²⁾. فالعولمة وفقاً له هي جوهر الأمركة، والألفية الجديدة هي ألفية الاستعمار الأمريكي وحده، المرفوق بالإعلان عن صدام الحضارات، بالضبط بين الحضارة الغربية الأمريكية والحضارة الإسلامية بدرجة أعلى عن الحضارة الصينية التي تلتها. ويسوقنا تأويل هذا النص إلى أن "عمارة" كان يقصد كلاً من "فوكوياما" في الإشارة إلى تزعم أمريكا العالم كما سبق وأن أكدته نظرية نهاية التاريخ وانتصار الليبرالية، و"هنتنغتون" بالنسبة لعلاقة الصدام الحضاري. وتتفق معه في أن الواقع يُثبت القيادة الأمريكية وولاء العولمة لها، وأن الغرب عبّر عن خطاب كراهية Hate speech تُجاه الإسلام بتوصيفاته المسيئة وسلوكياته المعنفة، وتناقسه المتواصل مع الصين، وهذا ما لحظناه في فترة انتشار فيروس كورونا Coronavirus من تبادل التهم واستغلال الوضع لتجذير المكانة. لكننا لا نُجيز له بحجة العلمية والراهن هذا الموقف المتشدد الإيديولوجي من العولمة، وكأنها نهاية الإنسانية وبداية الشرّ الشيطاني المدمّر، فالأصوب بالمعقولة وبشهادات لا تقبل الرّيبية الإقرار بإيجابياتها والتصرّح بنقاطها السلبية وإزالة البراقع الحاجبة ونزع غطاء الهالة الإعجابية التي تدعو إلى التّنبّي المطلق، فالترشيد المعتدل عين الطلب. وما يهّمنا على الدوام ويخدم بحثنا هو الثقافة السياسية وليس الثقافة فحسب، وإن كانت مرحلة تفحص علاقتها بالعولمة وتداعيات ذلك ضرورة لا بدّ منها، وخطوة لا يُمكن القفز عليها من أجل المرور باستيعاء واستيعاب إلى مرحلة الثقافة السياسية وما تطرحه من إشكالات لا تتّصف بالهدوء مع العولمة.

4- خاتمة:

قيمية قبل أن تكون جغرافية وسياسية. غير أن هذا الإشراق رافقته ظلامية وتعتيم، تجسّد في انبثاق حالة من التحدي والمواجهة بعد الشعور بخطر التهديد الهويّاتي. صحيح أننا نعيش مزيج كوني رائع وأن عصر الفواصل والانعزال قد ولى، لكن العولمة لم تتوقّف عند نقطة الانكشاف بل أرادت من زاوية أخرى تفعيل الحجب لمن يختلف معها. في هذه اللحظة تضاربت الثقافات المتنوعة مع ثقافة العولمة، مُعلنة الرفض لإمكانية سحجها والإلقاء بها في جوف الغربنة. فالاختلاف والفرادة مخصوصات لكلّ ثقافة بشرية نصيب منها، والتزوع العولمي إلى التجنيس أثار حفيظتها ودفعها للتحرك من أجل قطع الطريق، ونعود مرة ثانية إلى أفكار "إدغار موران" المركّبة، فبعد أن ثمن الفلكلور الكوكبي الثقافي، وأبان عن رؤية تفاؤلية داعمة للعولمة في رَحائتها، ألقى الضوء على الرؤية الثانية، تتوضّع من خلالها الخلافات والتنافسات التي يُفجّرهما العقل العولمي، فالتطوّر الاتصالي والإعلامي واتّسع مدار استخدام الأنترنت، سيزيد من منسوب تدفق التعارضات بين تنظيم مُنظّم وبيروقراطي ورأسمالي للإنتاج الثقافي وبين داخلية الثقافات المأصولة والمتفرّدة والابتكارية في المنتج الثقافي، وسيكون هناك أيضاً توتّراً قائماً بين حركة التآحيد الثقافي وحركة التفريد الثقافي على مُستوى الآثار الأدبية وتوظيفها⁽¹¹⁾. إنه الخوف من التشتّت الثقافي، وإمكانية زوال الثقافة الخاصة في سياق العولمة المغرّنة، ولهذا السبب تنطلق الثقافات غير الغربية في تأسيس مواقف خلافية حينما تتضارب خارطتها الثقافية وخارطة التدجين، بين تنظيمات بيروقراطية رأسمالية للإنتاج الثقافي وبين مقوّمات التأصيل والتميّز والإبداعية، بين سيرورة النمذجة وسيرورة المختلف على صعيد الأثر الأدبي والأكثر توظيفه، فالأمر يتعدّى حيّز النتائج إلى حيّز التسبيب. وفي منحنى الفكر العربي الإسلامي، نقرأ قولاً للمفكر المصري "محمد عمارة" Mohammed ammra (1931_2020م) يبدو فيه ضديداً كلياً للعولمة؛ "وفي إعلان المحافظين الجدد أن القرن الواحد والعشرين هو قرن الإمبريالية الأمريكية وحدها؛ لأن

5_ Aparajita, topic. political culture, rambagh, bihta, patliputra university, G.J.College, department of political science, p 2.

6_ جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية، الحضارات على المحك، مرجع سابق، ص ص 23 _ 24.

7_ إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟ (د.ط)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012، 92.

8_ عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكالات ... من الحداثة إلى العولمة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، 289.

9_ Francis fukayama, the end of history and the last man, the free press, a division of macmillan, Inc, Maxwell macmillan, canada, new york, toronto 1992, p p 214 _ 215.

10_ عزمي بشارة، الانتقال الديمقراطي وإشكالياته، دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2020، ص 407.

11_ إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟ مرجع سابق، ص ص 91 _ 92.

12_ محمد عمارة، بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، ط1، مكتبة الإمام بخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص 7.

المراجع:

• الكتب:

_ إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟ (د.ط)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012.

_ جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية، الحضارات على المحك، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004.

_ جيل دولوز، جيل، فليكس غواتاري، ماهي الفلسفة، ط1، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1997.

في ختام هذه الورقة البحثية التي تمحورت حول موضوع جدلية الإشراق والظلامية في فضاء العولمة والثقافة السياسية، نصل إلى أهمية طرق هذا الإشكال لأنه ينم عن قلق العلاقة وتجادُباتها. ولا يخفى علينا أهمية العولمة ودورها الحاسم في عديد المجالات بما فيها الثقافة السياسية، سواء كان دورًا إشراقيًا مُحْتَفِيًا بالتنوع وقيم المشاركة والحيوية، أو ظلاميًا إقصائيًا لا يُريد سوى مصالحيه وإرساء نموذج، وهذا ما جعل الجدلية هي خاصية العلاقة بينهما. لنقف بثبات على أن الفلسفة وعلى مدار تاريخها اشتغلت وفق مقارنة الجدل وسجلت رؤى ومواقف جدلية متضاربة، وهذا هو عين تميزها وسر استمراريتها. صحيح أن العولمة أبانت عن وجه مُشرق وآخر مُظلم فيما تعلق بعلاقتها مع الثقافة السياسية، إلا أنه ينبغي اليوم في السياق العربي أن نُكثِف جهودنا بخصوص هذا الإشكال، وأن لا نرفض العولمة مباشرة بمرجعية مُتَقَوِّعة، والثقافة السياسية الحاملة للقيم الغربية، بل أن نتعاطى مع هذه التفاعلية بكل علمية وحسّ فلسفي نقدي يقظ. إضافة إلى الانكباب بالبحث والاهتمام بالثقافة السياسية في بلداننا ونحن نحيا على وقع ترنح الحياة السياسية وبروز الأنظمة الاستبدادية وسياسات التلاعب بعقول الشعوب.

الهوامش:

1_ جيل دولوز، جيل، فليكس غواتاري، ماهي الفلسفة، ط1، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1997، ص 5

2_ شهرزاد حمدي، سلطة المفهوم الغربي في المجال الفكري العربي، سلسلة أقلام فكرية، موقع صحيفة المثقف

<https://www.almothaqaf.com/aqlam-3/963029>

تاريخ التصفح: الأحد 20 أوت 2023، الساعة: 15:08.

3_ جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية، الحضارات على المحك، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004، ص 15.

4_ Gabriel A. Sidney vthe civic culture, political attitudes and democracy in five nations, library of congress catalog, printed in the united states of america, London, 1989, p 12.

_ Gabriel A. Sidney vthe civic culture, political attitudes and democracy in five nations, library of congress catalog, printed in the united states of america, London, 1989.

_ Francis fukayama, the end of history and the last man, the free press, a division of macmillan, Inc, Maxwell macmillan, canada, new york, toronto 1992.

• مواقع الأنترنت

_ شهزاد حمدي، سُلطة المفهوم الغربي في المجال الفكري العربي، سلسلة أقلام فكرية، موقع صحيفة المثقف

<https://www.almothaqaf.com/aqlam-3/963029>

تاريخ التصفح: الأحد 20 أوت 2023، الساعة: 15:08

_ عزمي بشارة، الانتقال الديمقراطي وإشكالياته، دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2020.

_ عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكالات ... من الحداثة إلى العولمة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

_ محمد عمارة، بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، ط1، مكتبة الإمام بخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

_ Aparajita, topic. political culture, rambagh, bihta, patliputra university, G.J.College, department of political science.